نيقولاي لنين

وضع غالائيل برادفورد　　تلخيص اسماعيل مظهر

— ١ —

اسمهُ الحقيقي ڤلاديمير الياتش اوليانوف. ولد في سمبرسك بجنوبي روسيا سنة ١٨٧٠ من اسرة معتدلة الثروة، بل تعد في الوف من الاسر ذوات اليسار. شقت طريقها الى طبقة الاشراف الوسطى من فئة الزراع. ولقد حامت احلامه خلال شبابه ثم تكونت مطامعه في فتوته، من حادث مؤلم هزَّ اعماق نفسه، هو قتل اخيه الاكبر سنة ١٨٨٧ لانه حاول اغتيال القيصر. ويقال أن هذا الحادث كان سبباً فيما رؤي بعد ذلك من حدة مزاجه وصلابته وسعيه الدائم المستمر في سبيل ان يقتلع من الارض اصول الاستبداد والمستبدين، وان يقضي على الطغاة ويدك عروشهم الى الحضيض، وان يولي المستضعفين وللمنبوذين ملكوت الارض.

نيقولاي لنين

كان هذا بالضرورة سبباً في ان يصبح من الدّ اعداء القيصر وحكومته، كما كانت دعوته الى التحطيم والهدم في اصول الملكية الفردية والطغيان، عاملاً على اصطهاده اينما حل وحيثما كان وفي أية بقعة من بقاع القيصرية فروقب واسر وحبس ونفي الى سيبريا ثلاث سنوات ثم ظل يتسكع في نواحي اوربا كلها. على انهُ كان خلال كل هذه الاطوار دئباً على القول والعمل، يجمع من حوله الرجال ويهيء الافكار لدعوته القوية الجريئة. ولقد اخذ يضلع وافر من ثورة روسيا سنة ١٩٠٥. ولا نبالغ اذا قلنا ان لنين كان له في تلك الثورة الاثر الاوفى والشأن الاول. وفي النهاية هيأت له الحرب العظمى

الفرصة الذهبية . ففاز قام في روسيا نظام كرنسكي سنة ١٩١٧ عاد اليها ، وبتبديل من المهارة مع كثير من حسن الحظ وسعد الطالع وجد نفسه يوماً على رأس الحكومة الروسية ، يسود سعادته من ملايين البشر ما لم يسد نابوليون ولا القيصر ولا مرسوليني . اما انتقاله بين يوم وليلة من حاله الاولى الى الثانية ، والفارق العظيم بينهما ، فلا يعبر عن مثل كلماته التي قالها لتروتسكي « ان الانتقال من حالة التشرد ومطاردة القوانين الى السلطة المطلقة ، امر فيه من الخشونة ما يجعلني اشعر بالاضطراب والدوار » . ثم رسم علامة الصليب امام وجهه !

ما هي العوامل التي دفعت لنين الى ان يسلك في الحياة هذه الطريق ؟ سؤال اختلف الناس في الاجابة عنهُ . فالمعجبون به يقولون انه لم تحركه شهوة نفسية ولا مطامع شخصية وانه نسي نفسه وانكرها في سبيل تحقيق غرض اسمى ومثل اعلى ، وانهُ لم يطلب المجد الدنيوي ولم ينشد القوة والسلطان كما ان التاريخ لم يثبت مرة بعد اخرى ان الامعان في حب القوة والتهالك عليها ، قد يظهر ملابساً صورة الاستنكار لكل مظاهرها الخارجية . وليس في العالم من مطمع أوسع من ان تهدم الدنيا ثم تبنيها

***

قضى لنين اربعين عاماً من عمره يعد نفسه لسنوات ست ، من سنة ١٩١٨ الى يوم مصرعه . تلك التي كان فيها سيد روسيا . قضى الاربعين سنة الاولى في احلام وآمال — « ولا بد للانسان من اشياء يحلم بها » كما قال . قضاها يقرأ على الدوام ، وقد ينفق خمسة عشرة ساعة وعينه لا تفارق الكتاب ، وعقله لا يفتأ في تفكير ليقيم الفروض ويرسم الخطط لكل ما يحتمل ان يصادف طريقه من صعاب او عقبات او طوارىء . كانت حياة مليئة بالجهد المستمر . حياة تركزت لكل قواها حول غرض واحد وامل بعينه

واتصل بكتابات مركس . اما ماذا كان يحتمل ان يكون لنين بغير مركس ، فذلك ما لا يمكن التكهن بهِ . ولكن المحقق ان مركس هو الذي كوّن لنين من الناحية العقلية . لقد قضى ساعات طويلة مكبّاً يامعان على مؤلفات مركس ، يدرسها ويستوعبها ليهضمها ، ثم يكتبها مرة اخرى بقلمه ، ولكن ليعدّل فيها بعض الشيء . ولا شك في ان المبدأ الذي تدور من حوله نظريات مركس ينحصر في الجلاد الدائم للمستبر العنيف المجرد من كل معنى من معاني الشفقة والرحمة او محاسبة الضمير ، بين العامة واصحاب رؤوس الاموال . جلاد يجب ان يشهر وان تكون وسائله كل الوسائل الممكنة مشروعة وغير مشروعة ، حتى يتم النصر الاخير للايدي العاملة فيصبحوا السادة بعد ان كانوا العبيد . على ان في نظريات مركس الاجتماعية من ريح النبيذات الالمانية قدراً يجعل من الممكن تفسيرها على وجوه عديدة ، حتى ان كثيراً من اتباعه يرون في نظرياته وجوهاً لا يراها لنين . ولكن الداعية الروسي كان يحب البساطة ، ونظريات

ماركس مجردة عن الغيبيات وافقت مزاجه وتمشت مع مراميه في تكوين فلسفة جديدة للحياة وقواعد مسيرة في نظام الحكومة والادارة . فعلّم ماركس وبشر بماركس وعاش في ماركس ، وبأسرع مما يتصور الخيال وُهب الفرصة ، فمثّل دور ماركس على مسرح الحياة الصحيحة ، لا بأس من صوره صورة مسمومة ، كانت ولا شبهة تدهش استاذه اذا هو رآها رأي العين ، ان لم تربكه ، بل وترعبه

مما لا يمكن انكاره ان الهدم والتحطيم والتمزيق واقتلاع اصول ما ثبتت اصوله من الصفات الاصيلة في طبيعة لنين . ولما امتلك السلطة واصبح صاحب الامر ، انفرد بكل شيء واحتكم وطغى وتجبر ، بلا اي احساس بشفقة او رحمة . ولكنه لم يكن في هذا بعيداً عن اشباهه من الناس فانه كان كأمثاله يكره ان يقهر ، فأمّر نفسه بنفسه ، ولسان حاله يقول نفس عصام سوّدت عصاماً

لقد آمن كأستاذه بالثورة ، فاتخذها مبدأه وغرضه . ومن قبل لنين بمائة عام تخيل « توماس پين » Th. Paine شيئاً من تلك الثورة الخيالية المثالية ، ولكن لنين حاول ان يجعل من ذلك الخيال حقيقة واقعة . فبعد ان قلب روسيا رأساً على عقب ، حاول ان يقلب نظام اوربا واميركا وآسيا . وليس من المستحيل حتى الآن ان تثمر احلامه وتتحقق آماله

غير اننا لا ننصفهُ اذا لم نقل بان الرجل فكّر في البناء كما فكر في الهدم . فانك بعد ان تهدم الدنيا وتمزق شمل النظام الرأسمالي العتيق وسياسة « البورجوي » ، عليك ان تفكر فيما يقوم مقامها ويحل محلها من النظم . وفي هذا فكّر لنين . فوضع القواعد المفصلة ، وكتب الوفاً من الصفحات ليشرح فيها ذلك النظام الذي تخيله ليكون اساساً لدكتاتورية « البعاليك » كما صمّاهم على ورق النقد البلشفي ، بل واخذ يبين الاعاجيب التي يمكن ان تترتب على نظامه ذاك وما يجلب من خير على الانسان والانسانية . على انه لم يسلم من غيبيات ماركس وخيالياته . قال :—

« اننا اذ ندعو الى الاشتراكية ، انما ندعو اليها معتقدين انها لا بد من ان تنقلب الى صورة من صور الشيوعية ، التي يجب ان تنبذ كل حاجة الى استعمال القوة واخضاع الناس بعضهم لبعض ، وتسلط طائفة من طوائف المجتمع على سواها ، مادام الناس سوف يعتادون ان يروا النظام الاجتماعي قائماً من غير حاجة الى استعمال القوة أو وسائل القمع » — غير انه استدرك فقال ان الهدم له وسائله التي لا بدّ منها ، وان الهدم يجب ان يسبق البناء على اي حال

على هذا مضى لنين خلال الاربعين عاماً التي انفقها ليتكوّن ويستعد . وفي سنة ١٩١٨ تسنم الرجل عاتق القوة ، وما لبث بعد تسنمها حتى بان للعالم ان منظماً عظيماً ظهر على مسرح التاريخ الانساني . ولقد أبدى كثير من الكتّاب اقصى العجب في مقدار الفرق الذي ظهر بين لنين الخيالي الحالم في فجر حياته ، وبين لنين العامل المنفذ في كهولته . والمرجح ان لنين العامل المنفذ كان الرجل الحقيقي الكامن في لنين الخيالي الحالم ، وانه كان ينتظر سنوح الفرصة .

فلما فتح الباب عبره لنين الثاني ، تاركاً وراءه لنين الاول . فظهر لنين السياسي المحنك المجرّب في ثوبه الصحيح . ظهر في ثوب الرجل المجرب الذي يجبُّ ان يحتنك الرجال فيفرزهم ثم يغربلهم ثم ينتقيهم ليخرج منهم مجموعة متلائمة تخدم اغراضه . وان من العجب حقًّا ان يبدو لنين وهو في حدود الخمسين من عمره في ذلك الثوب القشيب ، من غير ان يعالج الحكم أو يجرب السلطان من قبل ذلك . ولكن يجب الاّ ننسى ان تجاريب يوليوس قيصر وكرومويل في الحياة كانت مثل تجاريب داهية العصر الحديث . غير انك لا تنسى ان في لنين اجتمعت عدة صفات اهّلته لان يكون ما كان . كان شديد الثقة بنفسه . فيحاول ان يضع اخطر ما يقرر السياسيون موضع التنفيذ بنفسه ، ولكن لمبدئه لا لها . واذا فرض انه لم يكن ليضع كل ما يقرر عمله في نصاب الحق ، افكان في مقدور غيره ان يضع احسن مما وضع ، أو يحكم التدبير اكثر مما أحكم ؟ احب السلطة وعشق القوة لينفع بها الناس وليضر بها آخرين . وهذا امرٌ تأباه النفوس الكريمة الهادئة ، ولا تجيزه . غير انهُ بجانب هذا كان متحققاً من انه ارتكب خطأ ، ولم يتوان مرة في ان يعترف باخطائه . كان يعرف انه عظيم وانه قوي وانه ذوسلطان بحيث استطاع ان يقف امام اتباعه ليقول لهم « ان الذي رأى انهُ سائر في طريق الغواية يجب ان يعود اعقابه . وان الذي بدأ عملاً ثم اتضح له انه مخطىء في وسيلة يجب ان يبدأ العمل من جديد مرة اخرى . وعملنا الذي نعمل الآن يجب ان يدرس عملياً . وحتى ندرسه على نور التجربة ، لا يحق لنا ان نؤمل اننا سوف نجتاز التجربة سالمين . أو نؤمل اننا قمنا بحق في قيادة امتنا » — ولم يكد ينفوه بهذه الكلمات حتى اخذ يهدم ما بنى ويحطم ما شيد ، واخذ ينفذ بلا تردد سياستهُ الاقتصادية الجديدة ، كما سماها ، والتي اعترف فيها بضرورة المزج بين النظام الرأسمالي المبغوض وبين الشيوعية الى حد ما والى زمان ما . وكان اخلاصه ، كما كان نشاطه واستعوائه لاتباعه ، صفات كفلت له ان يسير وراءه الناس حيثُ . . .

***

لا يبعد أن يكون اوفق مجس لقياس العظمة هي قدرة المرء على ان يكافئ بين نفسه وبين الظروف القائمة من حوله . ولا شك في ان هذه القدرة كانت من اخص صفات لنين . قال مرة : « ان فن الحكم لا يمكن ان يستوعب من الكتب . جرب وارتكب اخطاء وادرس كيف تحكم » . وكان يقول بان الانسان يجب ان يحتك بالحياة ليبلو الحياة . قال — « ان مثل هذه الاشياء ، لا يمكن ان يجاب عنها جواباً شافياً الاّ من الحياة ذاتها »

من اجل هذه الاقوال رماهُ البعض بانهُ « انتهازي » — Opportunist — غير انهُ ابعد الناس عن ان يكون هذا . على ان يكون الانتهازي ذلك الرجل الذي يلقى بسمعهِ دائماً

ان الارض ليسترق منها الاسرار ويباشي الناس ابتغاء الغد ويرقب داعًا من اين سوف تهب الرياح ليفرد فيها اشرعتهُ ويسير ولكن لا يعلم الى أين ؟ على النقيض من هذا نجد لنين يجد فيهِ «الحيوية» التي رأيناها في قيصر ونابليون ولكن : تلك الحيوية التي تتحرك في ذاتها ولذاتها بعيدة عن التأثر بالغرض السانحة كيفما كانت ، وتمضي حادة البصر والبصيرة ، وتغير داعًا مجرى الحوادث في سبيل الوصول الى غرض اسمى يتخذ في الحياة هدفًا يسعى اليهِ

— ٢ —

مهما يكن من امر تلك الاحتمالات التي يلوكها بعض الكتاب والتي يوازنون فيها بين نجاح لنين واخفاقهِ ، فلا شك في ان الرجل قد رمى في كل حياتهِ الى غرض واحد انحصر في ان يقيم الحياة الانسانية على طراز مثالي جديد . ولا بد من ان يكون لرجل اراد ان يتم ما اتم لنين في معركة حامية الوطيس ، وسائله وسواعده من رجال ونساء . ولاجرم انهُ درس الرجال كما درس النساء . فان حياتهُ البوهيمية وتسكعهُ في انحاء اوربا مكّناهُ من ان يدرس كل الاوساط الاجتماعية ، وعوداهُ على ان لا يستوحش في اية طبقة من طبقات المجتمع . على ان كل هذا الدرس الواسع الذي استوعبهُ لنين من الحياة كان لغرض معين — لم يكن مجرد درس اكاديمي لاستيضاح الطرق التي تتمشى فيها القلوب وتخفق في شعابها الافئدة ، بل كان تصنيفًا كاملاً للرجال على قاعدة الاستفادة من مواهبهم بقدر ما يصل اليهِ مستطاع كل منهم ، وتسخيرهم جميعًا لخدمة الغرض الاسمى

ولقد كانت نتيجة هذا الدرس العميق ان لا تفوز الانسانية من هذا الداهية الا بالاحتقار . قال « برتراند رسل » وهو على بعد نظره عميق الفكرة كيّس « لقد ثبت في نفسي أنهُ يحتقر كثيرًا من الناس ، وانهُ ارستوقراطي الرأي » . على انهُ لم يستثن من الناس اهل روسيا شأن البعض ممن يحتقرون العالم ويمجدون اسمهم زورًا . وقد يكون هنالك بعض المبالغة في قولهِ المأثور — « في مقابل كل بلشفي صادق نجد تسعة وثلاثين اداكًا وستين مغفلاً » . غير ان هذا الحكم ان عبّر عن شيء فانهُ انما يعبر عن مرارة التجربة في ظروف عديدة

والطرفة العجيبة في هذا تنحصر في التناقض الواقع بين احتقاره للانسانية عامة ولاهل روسيا خاصة ، وبين ان نظريته في الحكومة قد قامت على قدرة الجماهير في الحكم وذكائهم ومقدار ما يمكن ان تنتفع الانسانية بجهدهم . فمحور سياسته يقوم على ان الطبقات العاملة والجماهير عامة ، يجب ان يحكموا ، ليثبتوا في مواجهة الخاصة أن في مستطاعهم ان يحكموا وان حكمهم لا ينقصه الذكاء ولا تعوزه الامانة والمقدرة . كان يقول « زودوهم بالتجربة وعلموهم وعودوهم فضائل الاعتماد على النفس والنظام وهم يستطيعون ان يحلوا العقدة بأنفسهم . فاذا لم يستطيعوا حلها فلن يستطيع احد »

ومع هذا فان « بعضهم » يجب ان يرشدهم الى حل العقدة. وانهُ لمن المتعذر حقًّا ان تنعم النظر في الطريق التي رسمها « بعضهم » هذا ، فاذا بها تلك الآلة السياسية الهائلة التي حاول لنين ان يقيم قواعدها على ارض روسيا القيصرية. بدأت بأن تكون دكتاتورية «الصعاليك» وانت اذ تسمع اقواله او تقرأ ما خطت يراعته ، لا تشك في ان جمهور الذين يشغلون المصانع ويحبون الحقول الواسعة هم الذين يحكمون ، وهم الذين يحركون دولاب الادارة من طريق جمعياتهم المنظمة على الشريعة الشيوعية ، وانهم يوجهونها الى خيرهم العام . ثم لا تلبث غير قليل اذا امعنت في النظر حتى ترى ان القوة المحركة انما تنحصر في يد الحزب الشيوعي ، وهو حزب اقلية اذا قيس بعدد النسمات في روسيا وجلهم لا يفقه من الامر شيئًا . وقد لا تعجب ان تعلم ان هذا الحزب لا يتجاوز عدد اعضائه نصف مليون من مائة مليون روسي . ثم لا يغرب عن بالك ان الوحي الذي يوحى به الى هذا الحزب يلقى الى اعضائه من سماء عليا لا يتربع على عرشها الا بضعة ارواح مزهوة ، ويقف على هاماتهم نيقولاي لنين مشرفًا بهامة الجبار ذي البطش على ما يتراءى تحت قدميه من بسطة القوة والغلبة والاستعلاء ، فيصبح هو « دكتاتورية الصعاليك » ولا احد ، بل ولا شيء ، غيره

غير ان الجماهير انما تتكوّن من رجال ، ولذا يجب ان يعالجوا باعتبارهم افرادًا اولاً . وهذه حقيقة لم يدركها احد بقدر ما ادركها لنين . فمنذ اول ساعة خرج منها الى ميدان الحياة العامة طفق يدرس الرجال والنساء وبواعثهم النفسية وشهواتهم وكفاياتهم . ولكن بفكرة ما يمكن ان يؤدوا من خدمة للغرض الاسمى الذي احتكم في كل اطراف حياته . وان كثيرًا من مذكراته وتعليقاته لتظهرنا على مقدار ما بلغ اليه حكمه في النفس وعلى الطبيعة البشرية من بعد النظر وصدق الحدس

ولقد فرق بين الطرق التي عالج بها الناس ، بقدر ما اختلفت طباعهم . فهذا يكفي لقياده نظرة رضى ، وذاك يحتاج الى الاقناع وقوة البرهان ، لتقوده بالزمام . وغير هذا وذاك صنف عرف لنين انهُ لن يقاد الا بالامر الصارم . كان الالمانيون في عداء مع روسيا ، ولكنه اذا استطاع ان يستخدم نفوذهم لانقاذ روسيا ، فانهُ لا يتلكأ في الانتفاع بها . والبوليس القيصري على ما كان في افراده من فساد ، استخدمهُ لنين واغراه بالمال ليؤيد قضية السوفيت ويعمل على انجاحها . ولكن قدرة لنين من هذه الوجهة لم تتجلَّ بقدر ما تجلت في نجاحه بأن يوفق بين طبيعتين متناقضتين كطبيعة ستالين وتروتسكي ويصرفهما الى العمل معًا كما رام ، زمامهما في يده . ولقد اختلفا وتناقضا بمجرد ان افلت العنان من يد السائس الماهر

اما اعداؤه فقد كانوا موضع عنايته اكثر مما كان اصدقاؤه . فقد حوطه منهم سياج اخذ ذات اليمين وذات الشمال . ولقد شطب لنين من قاموس سياسته كلمة « التسامح » . فانت

اذا لم تكن معهُ ، كنت ضده ، ولذا فهو ضدك وحرب عليك بكل ما اوتي من قوة فان تنازع البقاء بين الكافة والعامة ، مبدأ اخذ بخناقه منذ نشأته الاولى ، ولم يترك ساعة واحدة . فالدنيا منقسمة في نظره الى معسكرين ، وعلى معسكر الكافة تساقط غضبهُ واحتقاره كسفاً متراكمة . غير ان نقمته لم تبلغ من الشدة في اعدائهِ بقدر ما بلغت في معاملة من كانوا لهُ اصدقاء يوماً ما . لقد خانوا القضية واختلفوا مع نيقولاي لنين . وكان هذا كافياً لان يعتقد لنين ان افتراسهم عاجلاً خير من معالجتهم ومحاولة اصلاحهم مرة اخرى

انهُ لم يكره فقط . بل احتقر في الغضب والتمة . فاعتبر الذين يخالفونهُ في الرأي اكثر من خونة . لم تخدعهُ الكلمات ولا النظريات . ولذا تراه استعمل السلطة بمجرد أن اخذها في يده ، من غير ان يفكر في الرحمة ولا في الغفران ، لاعتقاده ، ان الملاينة والاغراء والاقناع ليست من الوسائل التي يمكن ان تنجح بها الثورة . لقد درس لنين نظريات « سورل » — Sorel — في استخدام العنف ، فكان لهذا تاجه وأثره في حياته . قال مرة « هنالك توريون يعتقدون انهُ في مستطاعنا ان تنجح الثورة باستعمال الشفقة والحب . نعم ؟ في اية مدرسة تعلم هؤلاء ؟ وعلى اية وجهة يفهمون معنى الدكتاتورية ؟ وماذا يصيب الدكتاتورية اذا كان القائم على رأسها ضعيفاً مهزول الارادة ؟ » — فرمى بالرصاص وشنق وعذب وأثار حكم الارهاب بكل معانيهِ وفي اشنع صوره . كل هذا باسم المثل الاسمى !

ومما لا يبعد عن الواقع ان تكون هذه الدنيا في حاجة الى انقلاب يدك نظامها رأساً على عقب . والله يعلم ان الاجتماع الانساني في حاجة الى هذا . ولكن هل من الضروري ليكمل هذا ان تقوم وسائله على الكراهية والبغض والتعصب والانتقام ؟ على اية حال لم تكن هذه وسيلة عيسى . ولكن من المحتمل ان فكرة عيسى في الانسانية كانت اسمى من فكرة لنين

— ٣ —

هذا ما كان من امر الوسائل الانسانية التي استخدمها لنين وموقفه ازاءها في العمل على انجاح غرضه الاسمى . ولكن ماذا كان موقف الانسانية ازاء لنين ؟

لم يثبت التاريخ من نظرية أكثر مما اثبت نظرية « ان البغض يولد البغض » عرّف الجماهير بانك تبغضهم وتحتقرهم وتكرههم ، وهم لا يلبثون ان يردوا لك الصاع صاعين والكيل كيلين ، في نفس ما كِلت لهم . يكيلون لك البغض بغضاً والاحتقار احتقاراً ، ولكن في صورة ابلغ ووحشية اشد . وها نحن نجد ان ما كتب ضده قد تجسم فيهِ من البغض والاحتقار اضعاف ما كالَ لنين لاعدائهِ من هذه التجارة

فانحداره من سلالة تترية كانت سبباً في حملة شعواء اظهر فيها الكتاب انهُ ممن لا يعنون

والوسائل في سبيل الوصول الى الغرض ، ما دامت الوسائل مؤدية اليه . حتى لقد رماه بعض النقاد بما رمى به هو الشعب الروسي فقالوا — « ان ما حدث في روسيا لم يكن سوى انتقال من عنف وحشي الى امتهان شديد »

وانك لتعجب اذ توازن بين ما يقول اصدقاؤه ومحبوه ، وبين ما يقول اعداؤه . يقول الاصدقاء بأنهُ رجل لين العريكة هادىء الطبع وانهُ نظر الى الغرض الذي رمى اليه من وجهة انسانية صرفة ، وانهُ لما كان مقيماً في سيبريا اختلط بالشعب ودرس احواله وتعرّف متاعبه واسباب شقائه وحاجاته وضروراته ، وانهُ لما اصبح الحاكم بأمره لم يتوان لحظة واحدة في ان يضع هذه الاشياء موضع النظر والاعتبار . ويقول اعداؤهُ انهُ لم ينظر في الحياة الاّ باعتبارها كمية حسابية او معادلة جبرية ، وان الشهوات الانسانية وما تقاسيه الجماهير من متاعب الحياة لا قيمة لها عنده في قياس الانسانية وانك لترى ان لنين لم يزن الحياة الفردية بأي ميزان ولم يدرك لها من قيمة

على انهُ مهما اختلف الاصدقاء والاعداء في كل ما تعلق بحياة هذا الرجل، فقد اتفقوا على امر واحد ، هو ان لنين كان ذا قدرة فائقة على التأثير في الاشخاص . وسواء كان هذا التأثير للخير ام للشر ، فذلك امر يمكن ان يختلف فيه . ولقد بلغ من سحره ان كثيراً من الذين كانوا يختلفون معهُ في الرأي والوسيلة . كثيراً ما كانوا يخدعون عن عقيدتهم بسحره فينقدون ما يلقي به لنين في روعهم ، من غير ان يعرفوا ماذا يعملون . قال كاتب « ان من لم يحتك بلنين ولم يقرأ ما كتب ، لا يستطيع بحال من الاحوال ان يدرك اي اثر لهذا الرجل واية قوة تنرضها ارادته الحديدية على الناس ، والى اي حد بلغت سلطته العقلية على الذين يدرسونه . لقد اخذ لنين ، على عاتقه ان يقلب روسيا الاوربية حتى يصبح سافلها عاليها ؛ وماشاه الناس والرجال المعدودون وساعدوه في عمله بكل ما اوتوا من قوة الذكاء والكفاءة ، كما يساعد اطفال صغار اباهم في عمل ما »

***

هذه صورة مقتضبة للرجل الذي اختفى وراء الحرب العالمية ليجني اول ثمراتها . ولئن لم يكن لتلك الحرب الضروس من اثر الاّ تهيئة لنين لان يبرز الى الصفوف الاولى من جيش الانسانية النجب ، لكفى بها ان تكون ذات اثر بالغ في تحويل مجرى الحياة الانسانية الى وجهة جديدة . اما الحكم على مقدار ما سوف ينتج عن هذا الاتجاه من خير أو ضرر ، فذلك امر مرهون على حكم الاقدار